

القلب المكاني - صورته وتعريفه

رؤية في ضوء علم الأصوات

أ. د. محمد عبد الزهرة غافل الشريفي

لم يعن الأقدمون من علماء العربية بتحديد صور القلب المكاني ، ولا بوضع حد له وإنما كان أكثرهم يكتفي بذكر أمثلة منه ، فصور القلب المكاني التي ذكرها اللغويون قدماء ومحدثين قد لا تمثل - إذا ما نظرت إليها نظرة صوتية - إلا صورة أو نوعا واحدا من أنواع هذا القلب ، أما تعريفه فقول ابن فارس بأن القلب ((يكون في الكلمة ، ويكون في القصة)) (١) ، لا يعدّ حداً للقلب المكاني ، هذا فضلا عن أنه لا يختص فيه ، إذ لا يكون القلب المكاني في القصة ، والتعريف الذي يكاد يتفق عليه علماء العربية هو أن القلب عبارة عن تصيير حرف مكان حرف بالتقديم والتأخير (٢).

قبل تصنيف أمثلة القلب المكاني إلى صور متميِّزة ، أودّ الوقوف عند بعض من تلك الأمثلة التي وردت في اللغة ، وعدت من القلب وهي ليست كذلك ، منها قولهم : (جاه) مقلوب (وجه) ، قالوا : وأصل هذه الكلمة وجه على وزن (فعل) ، ثمّ حصل فيها قلب مكاني بتقديم العين على الفاء ، ثمّ حرّكت الواو لأدّ الكلمة لما لحقها القلب المكاني ضعفت فغيروها بتحريك ما كان ساكنا ، ثمّ قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وذهب بعض الشراح إلى أدّ الواو لما أحرّت عن الجيم أحرّت وهي مفتوحة ، وحركة الجيم الساكنة ضرورة أنّها صارت مبتدأ بها ولا يبتدأ بساكن ، وكانت حركتها الفتحة للخفّة ، أو لأنّها أصل حركة الفاء في بدء الكلمة فصارت على وزن (عقل) ، وبعضهم يذهب إلى أدّ الواو انقلبت ألفا لانفتاح ما قبلها وإن كانت هي ساكنة كما في (أجل) (٨) . ولا يخفى على أحد ما في هذا التوجيه من تكلف ، وقد حكى اللحياني : (أدّ (الجاه) ليس من (وجه) وإنما هو من (جهت) (٩) ، ورأى في هذه المسألة متفق

وقد يكون السبب في وقوعه هو ((صعوبة تنابها الأصلي على الذوق اللغوي)) (٥) ، أو ((الميل لتخفيف اللفظ أو التفتن فيه)) (٦) ، وذهب بعضهم إلى أدّ ((الآلة الصوتية أو آلة إرسال الكلام وهي الحنجرة تؤدي عمليات لغوية هي القلب والإبدال)) (٧) ، هذا فضلا عن ذكرهم أسبابا آخر كأغلاط العامة وأغلاط الأطفال ونقص الالتفات وعدم الاهتمام وقلة المبالاة .

إنّ هذا البحث عبارة عن دراسة صوتية في القلب المكاني تتناول جانبين من جوانبه ، الأول : صورته أو أنواعه ، والثاني : تعريفه .

الأول : صور القلب المكاني :

كان الأولى أن يقدم التعريف على الصور ، ولكّني عمدت إلى تقديم الصور ، لأنّها تمهّد الطريق إلى معرفة مدى قصور التعريفات السابقة عن شمول تلك الصور جميعها ، ولأنّها تسهم أيضا في التمكن من وضع تعريف يتسم بذلك الشمول .

وقد عرفه المحدثون ، وتعددت تلك التعريفات وتوتعت فاقتربت من بعضها تارة ، وابتعدت تارة أخرى ، وكان معظمها ينقصه الدقّة والشمول .

وحاول بعض (٢) من المحدثين بحث الموضوع بحثا واسعا ، غير أدّ تلك البحوث كانت تقليدية ، فهي تقف عند استقصاء آراء علماء العربية وأقوالهم فيه ، ومحاولة تفسير سبب وقوعه في اللغة ، والظرائق التي يستدّ بها عليه ، ولم أجد بحثا قد تناول هذه الظاهرة من خلال رؤية صوتية ، على الرغم ممّا لهذه الرؤية من أهمية كبيرة في تناول مثل هكذا ظاهرة . فإذا ما نظرت إلى الأسباب التي تؤدي إلى حدوث القلب المكاني وفق ما قرّره الباحثون ، نجد أدّ معظمها أسباب صوتية ، في ((بعض الحالات يؤدي القلب إلى تتابع صوتي أكثر اتساقا مع النماذج المسموح بها أو الشائعة في اللغة ، وحينئذ تكون النماذج التوزيعية ، أو التركيب الفونولوجي للغة هي السبب في وقوع القلب . وقد يقع القلب بغية التيسير وتحقيق نوع من الانسجام الصوتي)) (٤)

الالتفات وقلة المبالاة ، فكيف لها أن تخضع إلى هذه القوانين الصرفية ؟ ، ولاسيما أنك تجد علماء العربية قد استدّلوا على وقوع القلب في (أيس) مقلوب (بئس) من خلال عدم خضوع كلمة (أيس) إلى قانون الإعلال ثمّ أدّ هذه الأمثلة كان كل منها أو كاد يكون منفردا لامثيل له في اللغة .

وممّا حمل على القلب أيضا كلمة (أشياء) التي لا نظير لها في اللغة ، وقد رفض الكسائي (١٢) ، والأخفش الأوسط (١٢) ، والفرّاء (١٤) ، أن تكون (أشياء) من المقلوب ، وتابعهم باحث من المحدثين ، قال : ((الذي يسق مع القياس أن نقول برأي الكسائي من جهة الوزن ، وأدّ أشياء جمع شيء ، مثل صوت وأصوات ، وبيت وأبيات ، وثوب وأثواب ثمّ نقول أنّها منعت من الصرف سمعا ، واستعمالها ممنوعة من الصرف هو الفصحح الصحيح في لغة العرب)) (١٥) ، والحقيقة أنّ في هذا الرأي ((تيسيرا وتوجيها للمسألة بطريقة خالية من الحذف والتقديم والتأخير ، في ضوء ما قرّره بعض المتقدمين من العلماء)) (١٦) .

ومن الأمثلة الشائعة التي حملت على القلب وهي عند الخليل (١٧) قياسية ، ما يحدث في كل اسم فاعل من الفعل الثلاثي الأجوف المهموز اللام مثل : (جاء وشاء) ... الخ ، فتقول : (جائي وشائي) مقلوب (جائي وشائي) ، ويكفي أدّ سيبويه (١٨) لا يقول بوقوع القلب المكاني في مثل هذا ، وتابعه في ذلك بعض علماء العربية القدماء (١٩) .

ومن أمثلة القلب المكاني القياسي عند الخليل (٢٠) ، هو جمع (فضيلة) المهموز اللام على (فعاثل) نحو : خطيئة وخطايا

مطمئنا إلى هذا التوجيه ، فإذا ما أردت أن تقول بوقوع القلب فإنّ ذلك القلب - وفق ما أراه - قد وقع في (أحد) فصارت (حدا) ثمّ حذف الهزمة ومدّت الحركة قبلها ، فصارت (حدا) ، وهذا ما يؤكّده الواقع اللغوي اليوم ، ففي بعض اللهجات العربية المعاصرة تجد استعمال (ما في حدا) أي (لا يوجد أحد) ، وإن عدلت عن القول بوقوع القلب فهو عندي منسوب إلى ظاهرة (الإبتاع) لغرض المشاكلة ، فلفظ (الحادي) ملازم للفظ (الثاني) في كثير من الأحيان ، والواحد لم يكن مماثلا للثاني مقطعيًا .

واحد = |و|ح|د|ن| طويل مفتوح + قصير + طويل مغلّق .

ثانٍ = |ث|ن| طويل مفتوح + طويل مغلّق .

حادٍ = |ح|د|ن| طويل مفتوح + طويل مغلّق .

فالحادي مماثل للثاني مقطعيًا ، ثمّ أدّ الحادي لا يستعمل في كل الأحوال كالواحد ، تقول : الحادي عشر ، ولا تقول : الواحد عشر ، وتقول : واحد اثنان ... إلخ . ولا تقول : حادٍ اثنان ... إلخ ، ولكنهما يشتركان في نحو : الحادي والعشرون ، والواحد والعشرون ، وتقول : الأول والثاني والثالث ... إلخ ، ولا تقول : الحادي أو الواحد في مثل هذا ، وللمشاكلة نفسها صارت (الأوائل) (الأوالي) لتماثل (الثواني) مقطعيًا .

إنّ الأمثلة السابقة (جاء ، وقسيّ ، وحادٍ ، وأوال) كلها قد حصل فيها على رأي اللغويين إعلال بالقلب وهو ما لا ينسجم مع هذه الظاهرة التي يكاد يجمع الباحثون على أنّها تحصل بسبب الإهمال وعدم

مع رأي أمين علي السيد الذي قال : ((إنّ كلمة جاء أصيلة على وزن فعل وليست مقلوبة من وجه للأسباب الآتية :-

١- ليس هناك علاقة بين معنى كلمتي جاء ووجه .

٢- ليس يلزم أن يكون لكل كلمة جامدة أصل تؤخذ منه .

٣- الأصل في المفردات العربية عدم القلب .

٤- معارضة دليل القلب وهو وجود وجه ووجهة ووجهة بوجود مادة من لفظ جاء في قولهم : جاهه بالمكروه جوا .

٥- وجود علاقة بين معنى جاء ومعنى المادة المذكورة)) (١٠) .

ومن الأمثلة التي حملت على القلب أيضا قولهم : (قسيّ) مقلوب (قووس) على وزن (فُعُول) ، فقد تمت اللام وأخّرت العين ، فصار (قُسُو) على وزن (قُلُوع) ، ثمّ قلبت الواو الثانية الأصلية التي هي عين الكلمة ياء لوقوعها طرفا أثر ساكن ، وقلبت الواو الأولى الزائدة ياء لاجتماعها مع الياء وسبق إحداهما بالسكون ، فأدغمت الياء في الياء وكسرت السين لمناسبة الياء المشدّدة ، وكسرت القاف لعسر الانتقال من ضمّ إلى كسر ، ولا أدري كيف قرّروا أنّ أصل (قسيّ) (قووس) ؟ ولا سيّما أنّ العرب لم تقل في جمع (قوس) (قووس) ، وإنّما قالت : ((قسيّ وأقواس وقياس)) (١١) ، فهل يصح أن يدعى بالقلب عن لفظ غير مستعمل ؟ .

ومن أمثلة ذلك قولهم : (حادي) مقلوب (واحد) ، إذ قلبت (واحد) التي هي على وزن (فاعل) إلى (حادٍ) على وزن (عالف) ، ثمّ قلبت الواو ياء لوقوعها طرفا بعد كسرة فصارت (حاديا) ، ولست

أماكنها ، وهذه الصورة هي الشائعة في اللغة ، وما زال حدوثها قائماً إلى يومنا هذا ، وهذه الصورة يمكن أن تصنّف إلى صنفين :

الصنف الأول :

هذا النوع كثير في اللغة ، والقلب المكاني فيه لا يؤدي إلى تغيير صوامت الكلمة أي عدم حدوث إبدال لحظة وقوع القلب في صوامتها ، وهذا النوع من القلب يمكن أن يحدث في الكلمات جميعها باستثناء الكلمات ذات الأصول الثلاثية التي يكون فيها حرفان متماثلان في الأصل أو عن طريق الزيادة بالتضعيف إذا وقع القلب في الحرف المضعّف . ومن أمثلة هذا النوع :

المثال الأول : رُمَاحِسُّ و حُمَارِسُّ

الكتابة الصوتية : رُمَاحِسُّ | رُ | م | ح | ح | سُنْ
حُمَارِسُّ | ح | م | ر | سُنْ
الأصوات الصامتة في اللفظين : الراء ، والميم ، والحاء ، والسين .

المقاطع الصوتية في اللفظين : قصير + طويل مفتوح + قصير + طويل مغلق .

المثال الثاني : طامِسُّ و طامِسُّم .

الكتابة الصوتية : طامِسُّ | ط | م | س | س | نْ
طامِسُّم | ط | م | س | م | نْ
الأصوات الصامتة في اللفظين : الطاء ، والميم ، والسين .

المقاطع الصوتية في اللفظين : طويل مفتوح + قصير + طويل مغلق .

للتلاثي صورتين وللرباعي صورة واحدة . وعلى الرغم من تحفّظي من استعمال لفظتي التقديم والتأخير ، لا تمثل هذه الصور صور القلب المكاني كلها ، ويكفي للتدليل على ذلك أن أذكر بعضاً من أمثلة القلب التي أوردها السيوطي في مزهره (٢٤) ، فقد أورد مثلاً : مكبّب ومكبّل ، ومكفهر ومكرفه ، وهجهج وجهه ، وكعبير وبعبر ، وتقرطب وتبرقط ، وخنافر وفتاخر ، والعصافير والعراصيف ، وبخذع وخذعب ، والعسلطة والعسلطة ، وكل هذه الأمثلة لم تشمل عليها الصور السابقة .

إنّ صور القلب التي أعمد إلى تصنيفها لا تقوم على أساس أي الحروف التي تتبادل أماكنها في الكلمة ؟ وإنما على أساس الرؤية الصوتية إلى الأمثلة الواردة في اللغة التي عدّها اللغويون أمثلة للقلب المكاني وعلى هذا الأساس فالقلب المكاني - كما يبدو لي - صورتان . الأولى : حدوث القلب في الكلمة من دون أن يحصل أيّ تغيير في صورتها المقطعية ، فهي تحافظ على نظامها المقطعي ، والثانية : حدوث القلب في الكلمة يؤدي إلى تغيير نظامها المقطعي ولكنها تحافظ على قيمتها الصوتية .

ووفق ما تحافظ عليه الكلمة بعد القلب من صفاتها الصوتية ، يمكن تصنيف صور القلب المكاني إلى :

أولاً : صورة الحفاظ على النظام المقطعي .

تبادل الأماكن في هذه الصورة لا يحدث إنّما بين الأصوات الصامتة ، أمّا الصوائت فإنّها تبقى محافظة على

وطنيّة ودنيا ، وكان الفرءاء (٢١) لا يرى في هذا قلبا مكانياً ، وعنده أنّ (خطايا ونحوها) جمع (خطيئة) على طريقة من لا ينطقون الهزمة ، وخطايا عنده على وزن (فعال) ، ووافق كلام الفرءاء كلام أحد المحدّثين الذي يرى أنّ خطايا جمع خطيئة ولكنه يرى أنّ (خطايا) على وزن (فعايا) (٢٢) ، من دون أن يقول : أين ذهبت لام الكلمة ؟ . والتوجيه عندي هو أنّ الفعل (خطأ) و(دنا) قد سقطت الهزمة ومدّت الحركة قبلها ، فصار الفعل (خطا) معتل الآخر ، ثمّ عومل معاملة (قضى) :

قضى قضيةً قضايا -- خطا خطيئةً خطايا فالفعل سقطت لامه فكان وزنه (فعا) وخطيئةً (فعيةً) وخطايا (فعايا) . وبعد إبعاد هذه الأمثلة عن ظاهرة القلب المكاني أعود إلى تصنيف صور القلب ، إذ استقصى أحد (٢٣) الدارسين للقلب المكاني صور التغيير الممكنة بين حروف الكلمة ، ووجدها كالآتي :

١. تقديم اللام على العين ، نحو : (ناء يناء) في (نأى يئأى) .
٢. تقديم العين على الفاء ، نحو : (أيس) في (يئس) .
٣. تأخير الفاء على العين واللام ، نحو : (الحادي) في (الواحد) .
٤. تقديم اللام على الفاء والعين ، نحو : (أشياء) .

هذا في الثلاثي ، أمّا في الرباعي فقد تقدّم اللام الأولى على العين نحو : (خرب وخشرب) .

وإذا علمت أنّ الصورة الثالثة والصورة الرابعة لم يرد في اللغة إنّما مثال واحد لكل منهما ، وقد سبق في هذا البحث إبعاد هذين المثالين عن أمثلة القلب ، فإنّ

الصوتية ، ويتم تبادل الأماكن فيها بين صائتين أو بين صامتتين ، وهي لذلك يمكن أن تصنف إلى صنفين أيضا :

الصنف الأول :

هذا النوع من القلب لا يتم فيه تبادل الأماكن بين الصوامت ، كما مرّ في الصورة الأولى ، ولا بين صامت وصائت ، كما زعم علماء العربية القدماء ، وإنما يحدث بين صائتين ، أحدهما : صائت طويل ، والآخر : صائت قصير ، ويؤدّي هذا التبادل بين الصوائت إلى تبادل المقاطع في الكلمة أيضا . ومن أمثلة ذلك تحوّل الفعل الناقص إلى فعل أجوف وتحوّل الفعل الأجوف إلى فعل ناقص :

المثال الاول : رأى وراء

الكتابة الصوتية : رأى | ر | ء |
راء | ر | ء |
الأصوات الصائتة في اللفظين : الفتحة ، والألف .
المقاطع الصوتية : قبل القلب : قصير +
بعد القلب : طويل مفتوح + قصير .

المثال الثاني : عات وعئا

الكتابة الصوتية : عات | ع | ث |
عئا | ع | ث |
الأصوات الصائتة في اللفظين : الألف ، والفتحة .
المقاطع الصوتية : قبل القلب : طويل مفتوح + قصير .
بعد القلب : قصير + طويل مفتوح .
يلحظ في هذين المثالين أنّ صوامت الكلمة بقيت على ترتيبها الأصلي بعد

المثال الأول : عُقَّ وقُع

الكتابة الصوتية : عُقَّ | ق |
قُعَّ | ق | ع |
الأصوات الصامتة : قبل القلب : العين ،
والقاف ، والقاف .
بعد القلب : القاف ، والعين ، والعين

المقاطع الصوتية في اللفظين : طويل مغلق + قصير .

المثال الثاني : مُكَبَّل ومُكَلَّب

الكتابة الصوتية : مُكَبَّل | م | ك | ب |
ل | ن |
مُكَلَّب | م | ك | ل | ل | ب | ن |
الأصوات الصامتة : قبل القلب : الميم ،
والكاف ، والباء ، والباء ، واللام .
بعد القلب : الميم ، والكاف ، واللام ،
واللام ، والباء .

المقاطع الصوتية في اللفظين : قصير +
طويل مغلق + قصير + طويل مغلق .
يلحظ في المثالين أنّ مقاطع الكلمة لم
يحصل لها أيّ تغيير بعد وقوع القلب ، في
حين أنّ صوامتها قد تعرّضت إلى الإبدال .

إنّ هذه الصورة من القلب المكاني لها
أمثلة كثيرة في اللهجات العربية المعاصرة ،
فمن الصنف الاول قولهم : (مرسح)
في (مرسح) ، و (جواز) في (زواج) ،
(أهبل) في (أهله) ... الخ ، ومن الصنف
الثاني قولهم : (جزاز) في (زجاج) (٢٥)

ثانيا : صورة الحفاظ على

القيمة الصوتية :

هذه الصورة من القلب المكاني تخضع
الكلمة فيها بعد وقوع القلب إلى تغيير
صورتها المقطعية أو نظامها المقطعي ،
ولكنها مع ذلك تبقى محافظة على قيمتها

المثال الثالث : عَصافير وعراصيفُ .

الكتابة الصوتية : عَصافيرُ | ع | ص |
ف | ر |
عراصيفُ | ع | ر | ص | ف |
الأصوات الصامتة في اللفظين : العين ،
والصاد ، والفاء ، والراء .
المقاطع الصوتية في اللفظين : قصير +
طويل مفتوح + طويل مفتوح + قصير .

المثال الرابع : سَبَسَب وسَبَسَب .

الكتابة الصوتية : سَبَسَب | ب | س | ب |
س |
سَبَسَب | س | ب | س | ب |
الأصوات الصامتة في اللفظين : الباء ،
والسين ، والباء ، والسين .
المقاطع الصوتية في اللفظين : طويل مغلق
+ قصير + قصير .

إنّ هذه الأمثلة من القلب المكاني
يحافظ فيها اللفظ بصورتيه قبل القلب
وبعد على الأصوات الصامتة وعلى
المقاطع الصوتية .

الصنف الثاني :

وهذا النوع من القلب أقلّ من سابقه
ورودا في اللغة ، وهو يؤدّي إلى تغيير
صوامت الكلمة ، أي حدوث إبدال لحظة
وقوع القلب في صوامتها وهذا القلب يحدث
في الكلمات الثلاثية الأصول التي يكون فيها
حرفان متماثلان في الأصل نحو : (عَقَّ) و
(قَعَّ) . أو عن طريق الزيادة بالتضعيف
إذا وقع القلب في الحرف المضعّف نحو
(مكَبَّل) و (مكَلَّب) . والذي يثير الانتباه
ويدعو إلى الاستغراب ، هو أنّ هذا الإبدال
لم يضعه أيّ باحث في الحساب وهو يحاول
وضع تعريف للقلب المكاني .

في الحروف الأصول نحو : حمد ومدح ، وأيس ويئس ، وجذب وجذب ، ونأى وناء ، وأن وأنى ، وصاعقة وصاقعة ، ولهى ولاه ، وأحجم وأجحم ، وربض ورضب ، وخرشب وخرشرب ، وطاف وطفاف ، وفحّ وحفّ ، ويسمى ما حدث في هذه الأمثلة ونحوها قلبا مكانيا ، وهو ما سمّاه العلماء الاشتقاق الكبير)) (٢٦) ، وقال أيضا : ((وأولع (ابن جنّي) به (بالقلب المكاني) حتى جاء منه ولاسيما في الخصائص بالعجب العاجب ، وسمّاه الاشتقاق الكبير)) (٢٧). ويبدو رأي الباحث واضحا في أنه لا يفرق بين الاشتقاق الكبير والقلب المكاني ، لذلك قال بعد تعريفه للقلب المكاني : ((ولا بدّ في هذا القلب كما يدبّ عليه استقراء أمثله من المناسبة بين معنى اللفظ المقلوب ومعنى اللفظ المقبول عنه ، لكن لا يلزم أن يكون هون نفسه ، بل يجوز أن يكون ممّا شَبّه بمعنى المقلوب عنه ، أو من بعض أفراده)) (٢٨) ، فالقول بتشابه المعنى أو من بعض أفراده ، يؤكد الرأي القائل بأنّ الاشتقاق الكبير هو القلب المكاني ، وهو رأي بعض من الباحثين المحدثين وليس كما توهم في أنّ ذلك مذهب الأقدمين من علماء العربية.

والذي أراه أنّ القلب المكاني ظاهرة ليس لها علاقة بالاشتقاق ولا بالاشتقاق الكبير ، وأودّ أن أضع بين يدي القارئ قول الباحث ، في البحث نفسه عندما تكلم عن الميزان الصريّ ، قال : ((أمّا ما حدث فيه قلب مكاني من الكلمات ، فإنّنا إذا أردنا وزنه استدعى الأمر التغيير في أحرف الميزان تبعا لتغيّر الموزون ، بمعنى أنّ القلب المكاني إذا وقع في كلمة ما وأردنا وزنها وزنا صرفيا وجب أن يحدث مثل هذا القلب

أبارّ : الهمزة ، والباء ، والراء .
الأصوات الصائتة : أبار : الفتحة ، والألف
أبار : الألف ، والألف .
المقاطع الصوتية : أبارّ : طويل مغلق +
طويل مفتوح + طويل مغلق .
أبار : طويل مفتوح + طويل مفتوح + طويل
مغلق .

أدّ التطور الصوتي الذي حدث للكلمة هو حذف الهمزة الثانية بعد القلب ومدّ حركة الهمزة الأولى ، وهذا التطور الذي عرف عند العلماء العرب بالتهليل ليس كقوانين الإعلال القسرية التي ذكرها اللغويون في (جاه ، وقسيّ ، وحاد ، وأوال) ، وإذا ما تجاوزت التطور الصوتي ونظرت إلى الكلمة في المثال السابق نظرة تجريدية ، فإنّ لفظتي (أراء) و (أراء) قد اختلفتا في عدد الصوامت وفي طبيعة الصوائت ، واختلف فيهما النظام المقطعي أيضا ، غير أنّ القيمة الصوتية في اللفظين واحدة فالمقطع الطويل المفتوح في العربية يساوي المقطع الطويل المغلق ، وقد أطلق على كلا المقطعين في علم العروض (السبب الخفيف) .

إنّ الأمثلة المذكورة لا تمثل أمثلة القلب المكاني جميعها ، ولكنها تمثل - على حد علمي - صورته جميعا .

الثاني : تعريف القلب المكاني :

قبل أن نناقش تعريف القلب المكاني ، لا بدّ من توضيح الموقف من العلاقة بينه وبين الاشتقاق الكبير ، فقد عرف أحد الباحثين الاشتقاق الكبير - وكان قد خصّ القلب المكاني بالبحث - ، قال : هو ((أخذ كلمة من أخرى مع تناسب في المعنى واللفظ جميعا ، ولكن مع عدم الترتيب

وقوع القلب فيها ، وأنّ الكلمة قد حافظت على قيمتها الصوتية ، فمقاطع الكلمة بعد القلب هي نفسها قبل القلب ، ولكن أماكنها قد تغيّرت .
ويُردُّ إلى هذا الصنف من هذه الصور أمثلة القلب كلها التي وردت في اللغة وكان أصل اشتقاقها يرجع إلى الفعل الثلاثي الأجوف أو إلى الفعل الثلاثي الناقص ، كقولهم من المزيد : (أشاف وأشفى) ، و (اعتام واعتى) ، ونحو : اسم الفاعل ، كقولهم : (عائق وعاقى) ، و (لائع ولاعي) ، وجمع فاعلة على فواعل ، نحو : (شوائع وشواعي) .

الصنف الثاني :

وهذا النوع من القلب يحدث بين صامتين من صوامت الكلمة الأصلية ويكون أحدهما الهمزة ، ولكن يصحب هذا القلب تطوّر صوتي يؤدي إلى تغيير نظام الكلمة المقطعي ، غير أنّها تبقى محافظة على القيمة الصوتية فيها التي كانت قبل القلب ، وأمثلة هذا الصنف من هذه الصورة شائعة في اللغة . نحو : آراء ، وأبار ، وأدر في أدور . ومثل ذلك في جمع : رئم ، ونؤى ، وثار ، ولم يقع القلب في مفردات هذه الجملة .

مثال : أبارّ وأبارّ

الكتابة الصوتية : أبارّ | ءَ بَ | ءَ | رُنْ |
قبل القلب
أبارّ | ءَ بَ | رُنْ | بعد القلب
أبارّ | ءَ بَ | رُنْ | بعد التطور
الصوتي
الأصوات الصامتة : أبارّ : الهمزة ، والباء ،
والهمزة ، والراء ،

أن يغيّر ترتيب حروف الكلمة عن الصيغ المعروفة بتقديم بعض أحرفها على البعض الآخر)) (٢٦) ، فذكر التقديم ولم يذكر التأخير ، والذي أراه أن لا يذكر التقديم ولا التأخير ، لأنه لا دليل على أنّ هذا الصوت تقدّم على ذلك ، أو أن ذلك قد تأخّر ، كما أنّ هذا التعريف والتعريفات جميعها التي سبق عرضها يمكن أن تردّ لخلوها من الإشارة إلى المعنى الواحد الذي ينبغي أن يحمله اللفظان (المقلوب والمقلوب عنه) .

ولم يغفل جرجي زيدان عن ذكر المعنى عندما عرّف القلب ، فقد قال : ((هو عبارة عن تقديم أو تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه أو تغييره تغييراً طفيفاً)) (٢٧) ، ولكن هذا التعريف لم يسلم من المؤاخذه أيضاً ، فقد استعمل التقديم والتأخير ، ثمّ أنّ أمثلة القلب الواردة في اللغة ، لا تدل على حدوث القلب من اختلاف موضع أحد الحروف دائماً ، وإنّما قد يكون من اختلاف ترتيب مواضع أكثر من حرف ، نحو : (سببس) وبسبس) .

ومجمل القول ، فإنّ التعريفات كلها التي استطلعت الاطلاع عليها لم أتمكّن من شمول صور القلب المكاني جميعها التي وقفتُ عليها . أمّا التعريف الذي أقترحه ، فهو :

القلب المكاني :

هو اختلاف ترتيب صوامت الكلمة الأصلية أو اختلاف ترتيب صوامتها إذا كانت ثنائية الصوامت في الأصل ، بشرط المحافظة على معناها وعلى صورتها المقطعية (نظامها المقطعي) أو على قيمتها الصوتية وعلى موضع التضعيف في

يحمل ما يحدث في (يُشدُّ) و (يُشدُّد) على ظاهرة القلب المكاني ، فالضمة والدال الأولى قد تبادلا الامكان بينهما .

الكتابة الصوتية

يُشَدُّ يَشْ د د

يَشَدُّد يَشْ د د

والذي تقدّم يصلح للردّ على من قال : إنّ القلب هو ((أن تتبادل الأصوات المتجاورة اماكنها)) (٢٤) ، هذا فضلاً عن أنّ الأمثلة التي ساقها اللغويون للتدليل على وجود هذه الظاهرة ، لم تتصح عن أنّ القلب المكاني يحدث بين الأصوات المتجاورة فقط ، وإنّما قد يكون بين الأصوات غير المتجاورة ، نحو : (خنافر) و (فناخر) و (مكفهر) و (مكرهف) .

ويرى فندريس أنّ ((الانتقال المكاني ، يصدر عن نفس الأصل الذي صدر عنه التشابه ، إذ إنّ مرد الأمر في كليهما إلى الخطأ ، ونقص الالتفات ، ولكن النتيجة مختلفة كل الاختلاف ، فبدلاً من تكرار الحركة النطقية مرتين ، يقتصر على تغيير مكان حركتين ، وأخيراً يبدو الانتقال المكاني ، كما لو أنّ جزءين في كلمة واحدة ، قد تبادلا أحد العناصر ، فبدلاً من فسترا (festa) (نافذة) ، يقال في البرتغالية (fresta) (فرستا)) (٢٥) ، وعلى الرغم من عدم وضوح هذا التعريف ، تجد الاقتصار في الانتقال المكاني على تغيير مكان حركتين لا يقرّه الواقع اللغوي ، سواء أكان ذلك في أمثلة القلب المكاني في العربية أم في المثال الذي ذكره فندريس ، فانتقال الصوت (f) يمثل حركة واحدة وهي انتقاله ، أو يمثل أربع حركات هي انتقاله وانتقال الأصوات (e) و (s) و (t) .

وذهب بعضهم إلى أنّ القلب ((هو

في أحرف الميزان الصري في أيضاً)) (٢٩) ، وقال : ((أيس على وزن عفل من اليأس)) (٢٠) ، وقد سبق أن مثّل بالألفاظ (أيسن) و (ييسن) إلى جنب (حمد) و (مدح) على أنّ المثاليين من الاشتقاق الكبير أو من القلب المكاني ، فهلاً وضع صاحب هذه الدراسة (حمد) و (مدح) في الميزان ، ليقول لمن يهيمه هذا الأمر : هل (حمد) على وزن (لغ) من المدح ؟ أو (مدح) على وزن (لغ) من الحمد ؟ .

أمّا علماء العربية القدماء فلم يذهب أحد منهم هذا المذهب ، ولا سيما ابن جني ، فقد فرّق ابن جني بين القلب المكاني والاشتقاق الكبير الذي سمّاه الأكبر ، ويكتفي هنا للتدليل على ذلك أن نذكر قوله في (جذب و جذب) فهما عنده أصلان ليس أحدهما مقلوباً عن الآخر ، (وذلك أنّهما جميعاً يتصرفان تصرفاً واحداً)) (٢١) ، فهو ينفي وقوع القلب للمساواة في التصرف ، في حين لا نجد كذلك وهو يعالج تقلبات (ك ل م) و (ج ب ر) و (ح ج ر) ، وغيرها (٢٢) .

عرّف القلب المكاني بأنّه ((عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض ، لصعوبة متابعتها الأصلي على الذوق اللغوي)) (٢٣) ، وإذا ما تجاوزت سبب وقوع القلب ، فإنّك تلحظ أنّ صاحب هذا التعريف ذكر (التقديم) ولم يذكر التأخير ، وأنّه قال : (أصوات الكلمة) ، ومفهوم الأصوات يشتمل على الحروف كما يشتمل على الحركات ، والأصوات يدخل في ضمنها الصوامت والصوائت ، وفي صور القلب التي وقفتُ عليها أنما في هذا البحث ، لم أجد أنّ القلب قد وقع بين صامت وصائت ، ووفق هذا التعريف يصحّ أن

الترتيب الأصلي ، وذلك قد يستوجب وقوع
الإبدال أحيانا .

الهوامش :

- (١) الصاحبي في فقه اللغة ٢٠٢ .
- (٢) ينظر : ارتشاف الضرب ١/١٦١ ، مع الهوامع ٢/٢٢٤ .
- (٣) ينظر مثلا : سر اللبالي في القلب والإبدال ، القلب والإبدال في اللغة ، في القلب المكاني ، ظاهرة القلب المكاني في العربية .
- (٤) دراسة الصوت اللغوي ٢٣٥-٢٣٦ .
- (٥) التطور اللغوي ٥٧ .
- (٦) الفلسفة اللغوية ٥٩ .
- (٧) الجاسوس على القاموس ١٨٢ .
- (٨) ينظر : في القلب المكاني ١٤٩ .
- (٩) ينظر : لسان العرب (جوه) .
- (١٠) في علم الصرف ٥٧ .
- (١١) مختار الصحاح (قوس) .
- (١٢) المنصف ٢/٩٣ ، وشرح الشافية ١/٢٩-٣٠ .
- (١٣) ينظر : الممتع في التصريف ٢/٥١٥ .
- (١٤) الممتع في التصريف ٢/٥١٥ .
- (١٥) في علم الصرف ٥٥ .
- (١٦) في تصريف الأسماء ١٢٨ .
- (١٧) كتاب سيبويه ٢/١٢٩ .
- (١٨) كتاب سيبويه ٢/١٢٩ .
- (١٩) شرح الشافية ١/٢٦ .
- (٢٠) كتاب سيبويه ٢/١٢٩ .
- (٢١) ارتشاف الضرب ١/١٦١ .
- (٢٢) المنهج الصوتي للبنية العربية ١٨١ .
- (٢٣) في القلب المكاني ١٤٤-١٤٥ ، وينظر : ظاهرة القلب المكاني في العربية ٧٧ .
- (٢٤) المزهر ١/٤٧٦-٤٨١ .
- (٢٥) وهو نطق بعض جهات مصر ، وفي لهجة القاهرة (إزاز) على توهم أن الجيم في (جزاز) منقلبة عن قاف (ينظر : التطور اللغوي) ونطق العراقيين (كزاز) على التوهم نفسه .
- (٢٦) في القلب المكاني ١٤١ ، وهو رأي أحمد فارس الشدياق في كتابه (سر اللبالي في القلب والإبدال) ، وأي عبد الله أمين في كتابه (الاشتقاق) .
- (٢٧) في القلب المكاني ١٤٣ .
- (٢٨) في القلب المكاني ١٤٤ .
- (٢٩) في القلب المكاني ١٤٨ .
- (٣٠) في القلب المكاني ١٤٩ .

(٢١) الخصائص ٦٩/٢ .

(٢٢) ينظر: الخصائص ٥/١، ١٣، ١٣٥/٢، ١٣٧ .

(٢٣) التطور اللغوي ٥٧ .

(٢٤) دراسة الصوت اللغوي ٢٣٥ .

(٢٥) اللغة (لفندريس) ٩٤ .

(٢٦) أبنية الصرف ١٢١ .

(٢٧) الفلسفة اللغوية ٥١ .

مصادر البحث ومراجعته :

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديثي ، منشورات مكتبة النهضة ، الطبعة الأولى ، بغداد ١٩٦٥ .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق مصطفى أحمد النماس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٤ .
- التطور اللغوي ، د. رمضان عبد التواب ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٨٢ .
- الجاسوس على القاموس ، أحمد فارس الشدياق ، مطبعة الجوائب ، الأستانة ١٢٩٩ هجري .
- الخصائص ، ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الثانية ، دار الهدى ، بيروت / لبنان .
- دراسة الصوت اللغوي ، د. أحمد مختار عمر ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٦ .
- سر الليال في القلب والإبدال ، أحمد فارس الشدياق ، الأستانة ١٢٧٤ هجري / ١٨٨٤ ميلادي .
- شرح الشافية ، رضي الدين الاسترابادي ، تحقيق محمد نور وآخرين ، مطبعة حجازي بمصر ١٢٥٦ هجري .
- الصحابي في فقه اللغة ، ابن فارس ، تحقيق مصطفى الشويهي ، المكتبة اللغوية العربية ، بيروت ١٩٦٣ .
- ظاهرة القلب المكاني في العربية ، د. عبد الفتاح الحموز ، دار عمار ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٩٨٦ .
- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ، جرجي زيدان ، طبعة دار الهلال .
- في تصريف الأسماء ، د. عبد الرحمن شاهين ، مطبعة الشاب ، مصر ١٩٧٧ .
- في علم الصرف ، د. أمين علي السيد ، الطبعة الثانية ، دار المعارف في مصر ١٩٧٢ .
- في القلب المكاني ، د. عبد الكريم محمد الأسعد ، (بحث) في (مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، المجلد العاشر ١٩٨٢) .
- القلب والإبدال في اللغة ، عادل أحمد زيدان ، (أطروحة دكتوراه / جامعة بغداد / كلية الآداب ١٩٧٨) .
- كتاب سيبويه ، سيبويه الطبعة الأولى ، بولاق ١٢١٦ هجري .
- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ .
- اللغة ، ج. فندريس، تعريف محمد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٠ .
- مختار الصحاح ، الرازي ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧ .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي ، صححه محمد أحمد جادالمولى وآخرون ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .
- المتع في التصريف ، ابن عصفور ، تحقيق د. فخري الدين قباوة ، المكتبة العربية ، الطبعة الأولى ، حلب ١٩٧٠ .
- المنصف ، ابن جني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مطبعة البابي الحلبي ١٩٥٤ .
- همع الهوامع ، السيوطي ، دار المعرفة ، بيروت / لبنان .